

أندلسيات لجروح العراق

٢٠٠٨-٢٠٠٢



الإهداء:

إلى ورد عراقيّ سيطلع



أندلسيات لجروح العراق

دباباتُ الغزو تدورُ
تُسائلُنِي الأسلحة العزلاءُ عن السرِّ
وأسألُها عن نبض الفجرِ
وأجثو عند خزائن بغدادَ وأشورُ
أمسك قلبي من وجع التفاحِ
عناقيدُ النخلِ على الأعوادِ
الكابوسُ يُعاوِدُنِي
أشهبُ في قاعِ الجُبِّ
وأبحثُ عن سيارةِ أهلي
أسألُ عُصنينِ ينامانِ
على صدري ..
عن سرِّ الجبلِ الصامتِ في قلبِ الصحراءِ
أرقى درجاتِ الوجدِ

مُغمضة العينين
وَأمسكُ برقَ البلورِ

**

دباباتُ القتلِ تدورُ . . .
بغدادُ ..

سمرقندُ

غرناطةُ تنهدُ

ثانيةً يوغلُ هولاءُ في قمصانِ المدنِ التَّعبي

ثانيةً يقطعُ هولاءُ

شريانَ الحبرِ الأسودِ . . .

هولاءُ كوا يترصدُّني . . .

يقطعُ رأسي ،

يُودِعُهُ في صندوقِ مقفلٍ

يرميه في البحرِ

يدورُ البحرُ

اللعبةُ ترتدُّ على نحرِ البارجةِ الأمريكيةِ . . .

تتحرَّرُ من قلبي لُغتي

أُطْلِقُهَا نَحْوَ الصَّفِصَافِ
وَأَبْكِي ..

**

دِبَابَاتُ الْغَزْوِ تَدُورُ
الْأَسْئَلَةُ الْخُرْسَاءُ
تَذْوِي ..
صَنْدُوقُ الدُّنْيَا ..
خَبًّا عَاصِفَةً يَنْشُرُهَا الْمَوْتُ
عَلَى حَبْلِ غَسِيلٍ يَرْمِيهِ الشَّهْدَاءُ
نَحْوَ الْوُدْيَانِ
حَنِينُ الْبُوحِ ..
مُخْتَنِقٌ خَلْفَ سَدِيمِ الْكَلِمَاتِ
بَيْنَ الْيَنْبُوعِ
وَبَيْنَ الْمَشْهَدِ
قَمْرٌ أَسْوَدٌ
وَنَجْمٌ مِنْ طِينٍ تَعْدُو فِي الْفَلَوَاتِ ..

**

دباباتُ الغزوِ تدورُ . . .
فوقَ الدبابةِ قبرُ رسولِ اللهِ يصيحُ :
عُثاءُ السيلِ ،
.. الليلُ
دقاتُ الساعةِ تنهضُ من خصرِ خريفٍ
من كهفٍ
صارَ سريراً للموتِ ،
ومن مدخنةِ حَيْرى فوقَ سقوفِ الكلماتِ . . .
يستدرجُني الصيفُ إلى الوردِ الخداعِ
وأستدرجُه نحوَ سرابٍ محتدمٍ بعيونِ القتلى
الأعمى يُبصرُ عطرَ النارجِ ،
فأقفلُ نافذتي
وألوذُ بظلِّ حباتِ لَيْسِدِهَا الليلُ
فوقَ حفيفِ الجرحِ المتدثرِ بالدَّغْلِ
تَدهمُني عيناكِ وتُعطيني السرَّ
أقطفُ من ومضتها العطرُ
ينقطعُ التاريخُ الأخرُ

بينَ جذورِ الصَّبوةِ
والأغصانُ

**

دباباتُ الغزو تدورُ
يلوثُ ثوبيَ نَفثُ الدباباتُ
تثقبُ رُوحِي عَيْنُ الأمريكيِّ الرافلِ بالزبدِ
القابعِ خلفِ دروعِ العرباتِ
أزرارُ قميصِ الأمريكيِّ
دموعُ الليلِ على مُقلِ العذراواتِ
هديرُ الدباباتِ
يزرعُ في قلبِ الأرضِ
دموعاً أخرى ..

**

دباباتُ السِّلْبِ تدورُ
تفتشُ كَفُ الأمريكيِّ جُيوبَ الصحراءِ
تَجثو فوقَ عرينِ الزيتِ الأسودِ
يسكتُ صوتُ الرعدِ ...

فيه ، وتخبو النيرانُ . . .
تبكي الطيرُ حوَالِيهِ . .
وتشتعلُ الأَغْصَانُ
حولَ الدبَابَةِ يَعْتَرِكُ الرِّكْبَانُ
جاءتُ . .
ذهبتُ
دخلتُ
حَرَنْتُ
وتدلَّى من ثقبِ الشمسِ حِصَانٌ مَيِّتٌ . . .
صهوتُهُ سَدَّتْ وَجْهَ الشَّرْقِ
ووجهَ الغَرْبِ . .
فوقَ الصَّهْوَةِ
كانتُ ومضةَ عَيْنِكَ تَدْعُونِي
لوليْمَةِ حَبْ . .

**

دباباتُ الغَزْوِ تَدْوُرُ
يشتعلُ البَحْرُ على خَصْرِ الصَّحْرَاءِ

النخلُ على صدرِ البدويّةِ
تُرخي في الفجرِ ضفائرها
تفتحُ ساعدها للنجمِ الكذابِ
فيخجلُ وردُ الليلِ
ويرتدُّ الشجرُ المطعونُ ببرقِ النياتِ
جبالُ تفتحُ في حزني معطفها
وطيورُ تأكلُ من ياقوتِ الحلمِ
قبورُ الشهداءِ
تنهضُ في الفجرِ ،
وتهبطُ للنهرِ ،
يَمَامُ أخضرُ يتبعها ،
ويحفُّ بها التّرجسُ
ينثالُ عليها الطلُّ الأخضرُ
باسقةً أحزانُ الشجرِ الباذخِ
طلعُ الحزنِ نضيدٌ ..
تبكي الأرضُ من الحمى ..

**

دباباتُ الغزوُ تدورُ ،
شواطئُ دجلةَ غبراءُ
انفضَّ السَّمَّارُ
عنها ..
السَّمكُ المَيِّتُ يعلو ضَفَّتَها
الطُّحلبُ كَدَّرَ صَفْوَ الماءِ ...
تبكي دجلةُ في قلبِ الليلِ
زفيرُ الثعبانِ يُريقُ النارَ
على أعمدةِ الكونِ
سريِرُ العنقاءِ ...
محمولُ بيدِ الزوبعةِ الصفراءِ
وقلبُ الليلِ
ينزفُ أندلساً أخرى
وفلسطينُ
تَطْلُعُ من عينِ غزالِ
زنبقةٌ تُطْفِئُها الشمسُ
غبارُ الطلقاتِ الخُلَّبِ يُوجعُ قلبَ الأرضِ

يتكئُ الزيتونُ على وردِ الشيخِ
ويبكي ..

**

دباباتُ الحقدِ تدورُ ...
غرناطةٌ تعدو في قُمصانِ الليلِ
يلاحقُها الذئبُ التتريُّ
تصلُ البصرةَ
يُوقفُها الأمريكيُّ على السلكِ الشائكِ
تزحفُ في ذي قارٍ
بينَ جذورِ النخلِ الممتدةِ من أوتارِ الحزنِ
بسومرَ ،

حتى قلبِ النازِ ...
وعِراقُ الأروقةِ الجذلي ينزفُ في الأغلالِ ...
حقلُ الزيتونِ الغارقُ في قطرةِ دمعٍ
يتحدّاهم في القمرِ الطالعِ
خلفَ الدارِ
جنائنُ بابلَ ظمأى

يرتعشُ الصمتُ على شفتيها
وعلى كتفيها يذوي الوردُ
وطواحينُ فُراتٍ تطلعُ من خاصرةِ الوجدِ
تلمُّ شظايا الموتِ
عن الأدغالِ ..

**

دباباتُ السلبِ تدورُ ...
في حُجراتِ المشفى
يقتنصُ الأمريكيُّ غطاءَ الموتى
يعدو في الردهاتِ وعبرَ النارِ المرضى
تنهضُ في مُفترقِ الطرقِ الليليةِ
أشباحُ القتلى ..
نُهبَتْ في غَبَشِ الفجرِ مقابرهمُ ...
وارتجَّتْ تحتَ عَويلِ الرياحِ
جروحُ ما زالتْ تنزِفَ في أحشاءِ الليلِ
قالَ الجبلُ الباذخُ للوردةِ :

ضميني ..
واجتاحهما السيل ..

**

دباباتُ الغزوِ تدورُ
معابرُ بغدادُ ..

تبكي

الأنهارُ

الأسماكُ

الشرفاتُ

تبكي

وقبورُ بني العباسُ

أتعبها زحفُ العرباتِ على قلبِ الأرضِ
الآباءُ

يُخفونَ الطلقاتِ بصدرِ العذراواتِ

ضفائرهنَّ على الرملِ

يُخضبُّها الدمُ

وجعُ في أعينهنَّ عراقيُّ

دمعٌ
وجلُّ مما كانَ
وما سوفَ يكونُ
هبطَ المرجانُ من الدوحِ
هل قلتَ : الموتُ . . .
علمُ السيمياءُ . . .
خجلُ من ضوضاءِ الموتى
**

دباباتُ الغزوِ تدورُ
فراشاتُ الفجرِ يُطرِّزنَ مناديلَ الحزنِ
لأطفالٍ مقتولينُ
ويعطرنَ غلائلَ للشهداءِ
شموسُ عشرونَ أنطفأتُ
وليالٍ عشرونُ
عبرتُ
أقمارُ عشرونَ انكسرتُ في شجرِ الدمعِ

الأصفرِ
مَنْ ذَا خَلْفَ الْبَابِ
شَهِيدَاتٌ بَعَاءَاتٌ بِيضَاءَ وَأَجْنَحَةٌ خَضْرُ
يُدْفَنَ إِلَى غَابَاتِ النَّخْلِ
يُخَبِّئْنَ سِلَاحَ الْفَرَسَانِ
شَهِيدَاتٌ بَعِيونَ حَوْرَاءَ
يُظَلُّهَا غَيْمُ الْفَقْدَانِ
وَيَثْقُلُهَا الْوَجْدُ
رِذَاذُ الْمَوْتِ . . .
يَنْثَالُ عَلَى قِمَمِ الصَّخْرِ
وَفِي الْوُدْيَانِ . .
شَمْعٌ يَذْبَلُ خَلْفَ سِتَائِرِ بَغْدَادَ
نَسَمَاتُ الْحَزَنِ عَلَى أَشْجَارِ الْيَمُونِ
نَبُوخَذَنْصَرُّ وَالْخُلَفَاءُ
بِجَلَالٍ يَبْكُونَ بِصَمْتِ اللَّيْلِ

**

دباباتُ الموتِ تدورُ
تُداهمني عيناكُ
بريقُ أخضرٍ يَغزوني في عزِّ الليلِ
أفتحُ بابي
يدخلُ عطركُ
يكبرُ
ينشرُ أجنحةَ التفاحِ ..
تهوي الألواحُ على مائدةٍ ظمأى
يشتعلُ الوردُ برمِلِ الحزنِ
وأردانِ النخلِ
ويغادرني المحتلُّ ...

**

دباباتُ الغزوِ تدورُ
يحاصرها الغيمُ
وتربكها الرياحُ
غبارُ الصحراءِ المجروحِ يُعاودُ ذبحي
كفني ثوبُ الجبلِ الفضيِّ

حفيفُ الصفصافُ

سدري

تنشقُ الأرضُ عن الشارةِ

تُعطيني وهجَ الزنبقِ في عزِّ الظهرِ

وأعطيها قمري . . .

يتلألُ فوقَ غلائلِ عمري . . .

دَمَكَ الياقوتيُّ

أكفُّكَ كانتُ وسطَ هديرِ الدباباتِ

تلامسُ خصري؟!

**

دباباتُ الحقدِ تدورُ

قميصُ حبيبي في أعلى الدبابةِ

أعدُّو خلفَ عبيرِ العرقِ المتصبَّبِ من كتفيهِ

وراءَ عناقيدِ الرطبِ المصلوبِ على عينيهِ

حبيبي يركضُ خلفَ رواقِ أخضرِ

خلفَ شتاءِ صهوتهِ الحبِّ

وصبوتهِ الطيرِ الواكنُ في العشِّ

حبيبي يحملُ وسطَ عويلِ الريحِ
أورادَ الأرضِ
وحكمةَ ربّانٍ مجروحٍ . . .

**

دباباتُ الغزوِ تدورُ
فوقَ الدبابةِ زنارٌ مقطوعٌ . . .
عطرٌ صحراويٌّ يتدحرجُ في المنعطفاتِ
تلاحقهُ العرباتُ . . .
فوقَ الدبابةِ دجلةٌ لوحٌ من طينٍ . . .
وغبارٌ الحزنِ أنينٌ . . .
الوردُ المتلعثمُ تحتَ الأسلاكِ
يشهقُ :
نيسانُ لهاتُ الجرحِ المتخثرِ
في قعرِ الأقداحِ
تدهسهُ العرباتُ الليليةُ
والصفاراتُ
تهدمُ أبراجَ الحلمِ على شفةِ الفجرِ

الملقى بين الأسلابِ
وتحت حوافر خيلٍ غرثى
بين رسائلٍ مفتوحةٍ . . .
يتأولُ أسطرها العليجُ القادمُ من باحاتٍ عاريةٍ
وضياءٍ مثقوبٍ . . .
والقفصُ الأسودُ يعلو في الأفقِ
القفصُ الأسودُ يقتنصُ الشرقَ
الموجةُ تعلو
وتُدهمُ رأسينا ..

**

دباباتُ الغزو تدورُ . . .
فوق الدبابةِ مندبلٌ لحبيبينِ التقيا
وسطَ عُبابِ القصفِ
وتحتَ النيرانِ
ضميني قال لها ..
فانهمروا البجعُ الأبيضُ من عينيها
وتوارى الغيمُ

تحتَ عباءَتها
قالت : خُذني
وانفضَّ الغِرابُ . . .

**

دباباتُ الغزوِ تدورُ
تسدُّ عُبابَ البحرِ
الموجُ
يقتحمُ القافلةَ السوداءَ
فتمطِّرها الغيمةُ أحرأشاً
يستلقي الحوتُ على الضفة التَّعبي
ويغيمُ الياقوتُ . . .

**

عرباتُ الحقدِ تدورُ
تسدُّ نوافذَ بيتي
تذهمني الشمسُ بعزِّ الليلِ
فأبكي . . .
كفُّ تتسللُ

تفتحُ صدري للنورِ
فيرتعبُ الديجورُ . . .
أصبحو في الفجرِ على صوتِ الإطلاقاتِ
ألمُ شظايا العتمةِ فوقَ سريري
يتساءلُ طفلٌ في شرفةِ قلبي
عما يفعلهُ الأمريكيُّ
على البواباتُ . . .

**

دباباتُ الحقدِ تدورُ . . .
منكفئُ مثلَ حصانٍ مهجورٍ ..
جرحي . . .
تلفحهُ الشمسُ العربيةُ
ينخرهُ الدودُ . . .
بيكاسو يرسمُ جرنیکا أخرى . . .
يرسمُ بغدادَ طريحةَ أقدامِ الغوغاءِ
والحريةَ عودُ . . .
يعزفهُ القزمُ الموؤدُ ..

ألواحٌ متاحفِ بغدادَ بكفِّ الريحِ ...
والثورُ الآشوريُّ الباسمُ مرتعبٌ
غادر مرتبكاً
وبكى
في أركانِ المتحفِ والمنعطفاتِ
كانت قيثاراتُ
سومرَ تعزفُ لحنَ الحزنِ ..

**

دباباتُ السلبِ تدورُ
بغدادُ تنامُ على عطبِ الوردِ
وأسلابِ الياقوتِ
مرجانُ مآذنها في أيدي السلاّبةِ
والقرنُ الحادي والعشرونُ
منكفئُ
يرتجفُ الخجلُ الأصفرُ في شفّتيه ...
الجرحُ رمادُ ...
عطرُ الشيخِ على الأعوادِ

صريخُ الليلِ ،
صهيلُ الخيلِ
نشيجُ الحورياتُ ...
بغدادُ ...
اللوعاتُ ...
العبراتُ ...
الطعناتُ ...
ظهرُكِ ينزفُ ...
مفتاحُكِ ثانيةً في جيبِ الأمريكيِّ
يخضبُه الدمُ ...
يا ويلى ...
قمرُ الحلمِ
صارَ وسادةً ...
وعظامُ الأطفالِ وقودُ .
**
دباباتُ الموتِ تدورُ
الأكماتُ ،

الشبكات .
أولادُ الأفعى وزناةُ العصرِ
لهيبُ النارِ يطولُ صفوفَ الأطفالِ
توجَّعُ دهشتُهُمْ
تفتحُ أعينها في الصبحِ حقائبهم ..
كتبُ الأطفالِ
دفاترُهُمْ ..
تتلقتُ حيرى
الجنديُّ الأمريكيُّ
يطلقُ ناراً فوقِ جبينِ صبيِّ
منتفخِ الصدرِ
سقطَ الطفلُ ببركةِ دمِّ ..
إذ فكَّوا صدره
كانت أرغفةُ الخبزِ
تنزفُ تحتِ قميصه ..

**

دباباتُ الغزوِ تدورُ . . .
فوقَ الدبابةِ رَفَّتْ سَعْفَةُ نخلِ
وسؤالُ . . .
يستدرجُ من قلبِ الطينِ طيورَ الحبِّ
يناوِلُنِي كأساً صفراءَ
الأرضُ مشاكسةٌ
والسيركُ
تحرّكُهُ الزّوبعةُ السوداءُ
مهرجُ آخرِ هذا الليلِ
لا يصلحُ للظهرِ . . .
هذا ما قالتَه امرأةٌ
كان صهيلُ أحرسٍ يلبسُ معطفها . . .
يحرصُ في الليلِ دموعَ غوايتها
لن أستسلمَ . . . قالتُ ،
وانبتقِ الماءَ الأخضرُ
من كَفَّيها

**

دباباتُ الغزو تدورُ
المتنبّي يُشعلُ أشجارَ الكوفةِ
والأقمارُ . .

تساقطُ في قاعِ الحبِّ
نجومٌ تنشجُ في زاويةِ البستانِ
وسائدُ بنتِ السلطانِ
يخضبُّها الدمُ
يا ويلَ الغالبِ من مغلوبيه . .

حبلُ الشمسِ الغاربِ
ينشجُ خلفَ الأغصانِ

**

دباباتُ الغزو تدورُ
أبو تمامٍ ينشرُ بائيتهُ فوقَ ضفافِ
الكرخِ ، الدباباتُ
صدقتُ في كتبِ العرافاتِ
انكسرتُ مُقلَّ العذراواتِ
الخليجانُ

تجمعُ أرديةَ الريحِ من المنعطفاتِ
وتُعطي الفجرُ
كلماتٍ تزحفُ من حرقِ الباءِ
إلى دالِ الوجدِ . . .
والنقطةُ يأسرها وجعُ الغزلانِ
دجلةٌ تزحفُ في كبدِ النيرانِ
فيرتعبُ الجنْدُ
من فوحِ شذىٍ يطلعُ من وِجَناتِ الصخرِ . .
يجتاحُ حريرَ الماءِ
وأطرافَ ربيعٍ مقفلٍ . . .
يبحثُ عن قمرٍ للفلواتِ
وعن سرِّ للفعلِ
كي ينجو هذا الحجرُ المعقودُ
على جبهاتِ الغدِ

**

دباباتُ الغزو تدورُ
السيابُ يُشكلُ رأساً ينزفُ منه الحلمُ

وَيُخَطِّطُ حورياتٍ تَعْدُو بين النخلِ
وتشعلُ في أذيالِ النهرِ النارُ
تسعى في شطِّ العربِ الأفعى
في فمها تحملُ مفتاحاً
تحملُ إبليسَ إلى آدمَ
ظهر الحوتِ سؤالُ
يهوي فوقَ السنبِلِ
يبحثُ عن خلجانٍ أخرى
وخنادقَ لم تُقهر بعدُ
السيابُ . . .
يعزفُ أغنيةَ الأمطارِ وأب . . .
مندهشٌ من رملٍ يتأملُ أحذيةَ الجنديِّ الأمريكيةِ
كيف تصيرُ قواقعَ
كيف يصيرُ عراقُ الأبنوسِ
خرائطَ في كفِّ تطويه وتنشره
باسمِ الحريةِ تهوي الأبراجُ
التمثالُ يغادرُ شطَّ العربِ

أَبْصَرَةُ تُجْرَحُ مِعْصَمَهَا
كِي لَا تَغْفُو فِي زَاوِيَةِ الْخُنْدِقِ
وَالسِّيَابِ
يَرْفَعُ فَوْقَ سَنَاشِيلِ الْحَزَنِ
جِرَاحَ وَفِيْقَةَ
تَتْبَعُهُ الْأَشْجَارُ

**

دِبَابَاتُ الْغَزْوِ تَدْوُرُ
فَوْقَ الدَّبَابَةِ خَاتَمُ أَنْثَى
يَلْمَعُ فِي وَهْجِ الشَّمْسِ
وَيَرْقَى عَبْرَ سَلَالِمَ تَعَزْفُ حَزْنَ الْقَدْسِ
مِرْدَاةُ الْحَزَنِ طَحُونُ
يَثْقُبُ عِطْرَ اللَّيْلِ هَدِيرُ الطَّيَارَاتِ
وَهْمَمَةُ الْجُنْدِ
الْمَوْصِلُ تُوجِعُهَا ثَرْتَرَةُ الْعَرَبَاتِ
الرِّيْحَانُ يَفْتَحُ قَلْبَ الْمَوْسِيقَى
فِي غَوْرِ اللَّيْلِ

يطلعُ وردٌ في خصرِ الجبلِ الفضيِّ
ويسقطُ تمثالُ

تشربُ رَغوتَها الأشجارُ

**

دباباتُ الغزو تدورُ

في أعلى الدبابةِ زهرةٌ فلُّ

من بستاني

من قطعَ الزهرةَ

من أعطاهَا الجنديُّ الأمريكيُّ . . ؟

قالتُ عن بُعدٍ وهي تفوحُ

من بابِ الشمسِ سأطلعُ ثانيةً لأعودُ

نحوَ ترابٍ ينهضُ من أرديةِ الحمى

ويلمُّ شظايا الروحِ . . .

**

دباباتُ الغزو تدورُ

في مائدةٍ قُرْبِي الأمريكيةِ كانت

تفتحُ تحتَ الشمسِ ضفائرَها

وتشكّل من خُصَلِ الشعرِ
أروقةً
دولاً
وخرائطَ أخرى
ومجندةً عاشرةً
كانت تتأملُ في وهجِ الشمسِ مغازلها
والأفقُ
ثعبانٌ يتلوّى في ظُهرِ معتمٍ . . .
والشمسُ العربيةُ سوداءُ
كانتُ عبرَ نوافذِ بيتي
تبكي في عزِّ الصيفِ . . .

**

دباباتُ الغزوِ تدورُ
الليلةَ أكتبُ حُزني
فوقَ جذوعِ الجوزِ
وأبصرُ صخرَ القدسِ
يتدحرجُ فوقَ مآذنِ بغدادَ

أخبئُ جرحي في قلبِ ضميرِ الخيمةِ
دمعُ التفاحِ دمٌ يتخثرُ في كأسِ عطشى
نهرانِ يدورانِ على جيدِ البستانِ ..
يصلانُ ...

بغدادَ بعكا

.....

مرهقةُ بغدادُ

ومجروحُ معصمها

سرُّ الرمانِ على وجنتها

يذبلُ في الأصفادُ

٢٠٠٣م

بغداد

تخطُّ الخيولُ على بابِها
تتأهَّبُ للموتِ مذبوحَةً بالصهيلِ . . .
تخطُّ الطيورُ على سورِها
تتأهَّبُ للشدوِ
مأخوذةً بالعبيرِ . .
وينهضُ في سُوحِها النخلُ
يُرْخي الأَعنَّةَ فوقَ عِناقِ يلوبُ ،
على شَطِّها يكتبُ الحبُّ أمجادَهُ
وتدورُ الفصولُ . .
وقلبي يُرتِّقُ أحزانَهُ بضياءِ عَصوركِ
قلبي يُخطِّطُ فوقَ حرائقه مَشهداً
لوليمةٍ فجرٍ يُؤسِّسُ صَخْرَتَهُ ،
في ذُرَى قِمةٍ تتأهَّبُ أن تَسْتَرِدَّ سَمَواتِها

والصفائرُ مُسرعةٌ للوصالِ ،
وأنتِ حبيبةٌ قلبي
القناديلُ في الليلِ تأسرني
والنخيلُ يمدُّ يداً من عناقيدَ
تُربكُ خاصرتي
فخذيني
اهمسي للجراحِ ليطلعَ وردُ بأردانها
واهمسي للخمولِ التي هجعتُ
كي تفكَّ أعنتها ،
وخذيني
المناديلُ مجروحةٌ ،
والطريقُ إلى بابِ نجدٍ يطولُ .
وشوقُ السؤالِ يقينُ
ورجعُ الجوابِ ضنينُ
وما بينَ شوقٍ وشوقٍ رسولُ
يخونُ ويصدقُ لا بأسَ
أنتِ الدليلُ . .

وقلبك هذا النبي الذي لا يخون ،
قلبُ نهريكِ
يجتمعانِ علىِ واحةٍ من سعيِرٍ
وقلبكِ يكبرُ ،
يَمتدُّ ما بين أضلعنا والفصولِ
فخذيني
العباءاتُ في الفجرِ رَفَّتْ على لَهْفَةٍ
كَلَّمَا راودتني انثنيتُ على كِبدي
أن تصدَّعَ ..
إن العباءاتِ في الفجرِ كانت تخبيئُ
فرسانَ عصرٍ يُطاولُه حلمٌ مستحيلٌ ..
وبغدادُ باذخةٌ بعنادِ المليكاتِ
في رأسها تاجُ دهرٍ يُراوِدُ فرسانها
ويُشاغلُ سَجَّانها
أن تميدَ به الأرضُ
أو تستريبَ به الزلزلةُ ..
وبغدادُ شامةٌ كلِّ العصورِ

على كتفيها رباشُ الحضاراتِ مُربكةً
والمرابضُ أمنةٌ . . .
والمنايا ندُورُ
على رسلها كانت الأرضُ تبلعُ نيرانهم
وعلى رسلها تتسلَّمُ كانت رسائلنا والنشيدُ . . .
وبغدادُ دفءُ العصورِ يُدثرُها
وعلى جيدها يستريحُ الزمانُ قلائدَ تمرٍ
وأسورةُ الأرجوانِ على ساعديها
وفي خصرها قمرٌ من هديلٍ . . .
وبغدادُ محروسةٌ بأكفِ السماءِ
تُناولُها كلَّ يومٍ دليلاً :
مناديلها ،
قلماً خطَّطَ الكونُ في بدئه
وتناولها خاتماً
ورهانَ عبيرٍ . . .
قناديلُ تطلُعُ
ما بينَ ليلٍ ومنفى

وأكتبُ فوقَ صحورِ العراقِ :
أحبكَ ...
أكتبُ لا أشتري غيرَ هذا العذابِ
وطناً لجروحِ اليمامِ بقلبي
وأجنحةً لمناديلِ حبي
وسفراً يقاومُ

٢٠٠١

ما روته دجلة للبحر

على غربِ دجلةَ تسقطُ وردةٌ رُوحي
الجسورُ إلى الشامِ يُشعلُها الوجدُ
منفيةٌ رسلُ الشامِ
هل من دليلٍ إلى الشامِ
هل من قتيلٍ يراودني في المساءِ

**

على غربِها يطلعُ الشجرُ المتنبئُ
يكتبني من جديدٍ
ويشعلني من جديدٍ
على غربِها تتوهجُ عيناكِ
قدساً وأندلساً
وبروقَ ليالٍ مُخضبةٍ بالأسى
وبوحي يُعيدُ مسلةً يثربَ

يكتبُ نجداً غريباً
ودمعاً صديداً

**

على غُربِ دجلةٍ تسقطُ دمعهُ حبيبي
بكفِّ المنافي
أسائلُ عنك وتناي . . .
أسائلُ عنك . . .
تفتشُ عن شوكةٍ في مياهِ الضياءِ
وعن محنةٍ تستردُّ تفاصيلها من دمائي
وتهجرني في اشتعالي
تهجرني طلقاً مطفأً . . .
وأمنيةً ضيقةً . . .
وعنقودَ حزنٍ رحيمٍ
وفاصلةً في البراري
حبيبي على قدرِ بهجةِ حبك أشعلُ عمري
وافتحُ في الكلماتِ حدائقُ
أفصلُ منها القصائدُ . . .

وأزرعُ فيها يماماً عصياً
وحزناً بهياً
ونحلاً يقاومُ . . .

**

تجبيءُ إليَّ
وبغدادُ أجملُ
بغدادُ أشهى . . .
أفصلُ قلبي على قدرِ حبك
يشهدُ قلبك
حُبك أكبرُ
قلبي أبهى
ويتسعان ، يضيقُ المدى
في الهزيعِ الأخيرِ دنا البحرُ ،
شَبَّ دَمُ الحربِ
حينَ دنا البحرُ
قامتُ سكاكينُ خيبرَ
حينَ نأى البحرُ نامَ الدليلُ

فلا تجرح البحر إن الغيوم تطهره
وعلى شاطئيه تشب اللواعج
ملغومة باللظى . . .
إن للبحر أوجاعه
ودموع مواجده
إن للبحر ليلاً يكابد أسراه
وصخوراً تلوب على بابه
إن للبحر أسراه :
قلبي ومنظومة من بلابل مذبوحة
في دياجر حيتانه
وشواطئ ترقص في جرحها غابة من نخيل
وللبحر أذرع تغتالي في الليالي
وغصن يُخاصرني في الأصيل . .
خُذيني إلى البحر أيتها الملكات السعيدات
بالوجع المر
هاك فوانيس نارنجية ذبلت في الشهيق الأخير
فباب القبيلة أسلمته للدوار

لِفُلكِ تُشَتَّتُ رِكابِها
وَلِحوتِ تُساوِمُ يَقطينَها
أَن تَعِيتَ بِهِ دودَةٌ
سَقَطَتْ دَمْعَةُ الحَبِّ فِي راحَةِ الحَرِّ
أَوْ سَقَطَتْ دَمْعَةُ الحَرِّ فِي راحَةِ الحَبِّ
لَا فَرَقَ . .
إِن المِسارِحَ مَرِكةٌ . .
والمِناهِجَ أَمِركَةٌ
والمِياهُ تُشَقُّ التِرابَ إِلى فِتنَةٍ شاهِدَةٌ
والمِصوارِخُ تأتي وتَذهبُ
تأتي وتَذهبُ ،
والمِطائِرُ تُعلَى مَهلِها تَوقِظُ الأَنبياءَ
مِن المِحَنِ الهامِدَةِ . .
إِنني أَسْتَرِيجُ على شاطِئِ من لَظي
وأقاومُ وَخَزَ الرِياحِ التي خَبَّاتُ لي
سَبِعينَ أَغنيَةً مِن عَبيْرٍ
أَغازِلُها في الصِباحِ

وأودعها في المساء شغاف فؤادٍ تجبر
ثم انحنى للصلاة على وردة من سعي
خُذيني إليها
إلى رُسل الشام تفتحُ صدري
وتلقي به معجزات الزمانِ البنخيلُ
دنا البحرُ يا سيدي
هل دنا البحرُ من جمرةٍ تستحيلُ إلى قمرٍ
فوقَ جبهةِ عمركَ
أو عُرةٍ فوقَ صبري . !

**

حبيبي
اليماماتُ تزرعُ قمحاً بشاطئِ دجلةَ
تعزفُ ورداً على جُرْفِها
شجرُ الشَّيخِ يسألُ عن عطره
وتباريحه ،
عن عناقيد صَبَّوته في الظلامِ
وبغدادُ مذبوحةٌ في الطريقِ إلى الشامِ

منفيةً في الصحارى يواقيتها
وكواكبٍ من حطبٍ حورها
دمعها بجعٍ يابسٍ
وهواها اغتيالٍ . . .

خذياني إلى غصنِ رمانةٍ تفتديني
من وصبِ الوردِ في ليْلِها
الشامُ يوجعُها الليلُ
هل من دليلٍ إلى الشامِ
هل من رسولٍ يُراودُ فتنَّها
ويلمُّ تباريحها
سهرٌ . . .
ودمٌ يابسٌ
وغيومٌ . .

هو البحرُ منهمكٌ بالفراغِ
يؤثُّه بالجمالِ
ويوسعه بالجلالِ
نؤومُ الضحى تتلفعُ بالفجرِ

تحرسُهُ من مَخالبِ ذئبٍ يُراوغُهُ
إن أعمدةَ الكونِ تنهضُ من نهرِ عينيكَ
تأخذُني نحوَ أروقةِ الضوءِ
نحوَ فضاءٍ يشكّلُ أحزانهُ
سفناً تتأرجحُ ما بين موجٍ وقيدٍ . .
وما بينَ حدٍّ وحدٍّ . . .

**

دنا البحرُ ،
إن مياهاكَ تطلُعُ في رملِ روحي
حريراً يُدثِّرُنِي
ورياحُكَ تنشرُنِي في الطريقِ إلى القدسِ
شالاً على كَتِفِ البحرِ
تُربِكُنِي في الطريقِ إليكَ
الرياحُ التي علّمتني البذارَ . . .

صواريخ آخر الليل

رصاصٌ ، رصاصٌ ، رصاصٌ
صواريخٌ ...
منعطفُ الدربِ منكفئٌ
والشوارعُ مُربكةٌ
وأنا نخلةُ الريحِ
شعريَ موسمٌ من لا يدين لهُ
وفراتيَ مرٌّ
وعلقمُ حبي مناقيرُ تنهشُ جرحاً يقاومُ
والليلُ منهمكٌ بالحروبِ يُرتِّقها في الظلامِ ..
والصواريخُ مفتونةٌ بمنى الأبرياءِ
وبالفقراءِ
ومشغوفةٌ بالحضاراتِ تحرقُ أسفارها
وحبيبي ،

حبيبي ...
القطاراتُ ،
منتصفُ الليلِ ،
وجهكَ
منتصفُ القلبِ . . .
صوتكُ غابُ من الأرجوانِ
وليلةُ حمى ،
ومملكةُ تتدفقُ أنهارها لؤلؤاً
ولهيبَ حريرٍ
وصوتكُ يدفعُ عني حرائقَ غارةٍ
فجرٍ ستأتي
عبرتُ . . .
ولكنهم أوقفوني ،
اخرجي من جذوعِ الشجرِ
يا أغاني العذارى
اخرجي من عيونِ المطرِ
وصبِّي العبيرَ بأرديةِ الريحِ

كي يطلقَ الشعرُ أحزانهُ
لفضاءٍ أخيرُ
ولا تقفي
النارُ تنسجُ هبوتها في الطريقِ إلى القدسِ
بغدادُ . . نارٌ هو الدربُ
مصيدةٌ ،
لُجَّةٌ من لظىٍ
يقفونَ على طرقِ الموتِ
أشهدُهُم . .
يُشرِّعونَ سنايلَ بيضاءَ مثلَ النبوةِ
بيضاءَ مثلَ السماءِ
قفي . .
ودعيني ولا تذهبي
قُبْلُ في الأكفِّ
وفوقَ الجبينِ عناقيدُ وردِ طريِّ
وتيجانُ مملكةٍ لم تَضَعُ بعدُ
لا تقفي ،

أوقفيني
المحطاتُ دافئةً بالوداعِ
وداميةً بالصراعِ
المحطاتُ ملغومةً بالبكاءِ
وما بينَ جفنينِ
جفني وجفنيكِ
قيدُ ،
وداليةٌ ،
ونداءُ ،
خُذي البحرَ مني
خُذيني إلى البحرِ
صدري الذي وَسِعَ البحرَ
ضاقَ بأوزاره
كَذَبَ البحرُ
آياته سكنتُ في الترابِ موسمَ
ثم أنجلتُ سورا للعذابِ
وعطركَ ذاكَ الذي كانَ يطلِّقه الليلُ

فوق جِراحي
يلوحُ ليَ الآنَ حقلاً من الطائراتِ التي تتوعَّدُني
في المساءِ
وتأتي القصيدةُ ،
تذهبُ
في العتباتِ ترشُّ تعاويذها
عندَ منتصفِ الليلِ
ثم تدوبُ . . .
سُمرَةً فوقَ شعرِ البوادي
وأعمدةً للمنافي
وأشرعةً للغروبِ . . .
على رسلها كانت الحربُ تجمعُنا
وتُشرِّقُ في دَمِنَا
أو تغربُ فينا ،
ويرقصُ دغْلُ الرصاصِ
على قَدْرٍ لا يساومُ . . .
دخانُ ،

دخانٌ ،

دخانٌ ...

وقافلةٌ من ضجيجِ المواسمِ ...

وهمسٌ يريجُ سماءاتهم

ويُزيحُ سحاباً يطاولُ بنيانهم

و... قفُوهم فهمُ مُحضرونُ

**

هل تجيئينَ هذا المساءُ

طلعتُ زهرةً في البكاءُ

ونامتُ عيونُ الأصابعِ ...

مائدة الخمر تدور

مائدة الخمر تدور . .
يمحو اللؤلؤ ما سطره الياقوتُ على الأغصانُ
لا أستثني وجع السمك القابع
في كهف البرق الأخضر
مات السمكُ الأخضرُ مقتولاً في ثقبِ الإبرة ،
قال الليلكُ :

ثقبُ الإبرةِ أوسعُ من بحرٍ
تبتلعُ الحمى مرساهُ
وتأخذهُ نحوَ ذراعِ الزبدِ الطاعنِ بالصدِّ
ينفرطُ العقدُ ،
وأهوي نحو القاعِ . .

**

- مائدة الوجد تدور

يهجرُ سقْفُ الكلماتِ الجدرانَ
تَلُوبُ الغِزْلانُ
بحقولِ الموتى
فاقرأ كفي كي تمتدَّ خيوطُ العرضِ
يصيرُ لها أجنحةٌ
فتفرُّ البلدانُ
نحوَ خرائطِ أخرى
تتشكلُ نحلاً ،
نملاً ،
غيماً
وقوافلَ ماءٍ في واحٍ تحرسُهُ الأجراسُ
هل قلتَ :
أحبكِ ! .
كي ينهضَ نخلُ الأرضِ ،
ويشتعلَ الكونُ
**
جنياتُ الصحراءِ

تعدو

جنّياتُ الأرضِ تطيرُ بأجنحةٍ من نارٍ
تدنو الأغصانُ ،
وتشربُ وجدِي
ألَهتُ خلفَ أصابعِها
ويجفُّ دمي ..

**

- مائدةُ الحربِ تدورُ ..
جبلٌ فوقَ صدرِ الفلاةِ
صخرةٌ فوقَ صدرِ الفتاةِ
قمرٌ مربكٌ ،
ويقينُ يشكُّ بأبراجه ،
وصلاةٌ .

تستريبُ

وسجادةُ الرملِ مرجانةٌ ذابلةٌ
ليلةٌ أفلةٌ ..

من جنوحِ يدِيكَ إلى مفصلِ الروحِ

سكينة قاتلة
يا وعود ،
خُذيني إلى إفكِ ليلِ الشتاتِ
خُذيني لأُسرجَ قلبَ الخطايا
خطيَّ لغدٍ لا يجيءُ
ونرجسةً ونواعيرَ مطعونةً بالندى
وبجرحِ النداءِ
خُذيني ..
التمائيلُ تحتاحُ مرجَ الشعابِ
وتوقظُ بردَ المساءِ
خُذيني ،
ورُشِّي دموعَ النساءِ
قلائدَ فوقَ البوادي ..
وقبعةً للدماءِ
خُذيني ، الصواريخُ مفتونةٌ بالليالي
ترشُّ رذاذَ الخرابِ على الشرفِ الواجفةِ
مقلّةً خائفةً

تُراودُ أسرارَها
وتلمُّ أصابعَ عشاقها من مخابئِ
تفاحةٍ عبرتْ نحو كهفِ السماءِ ..
قمرًا للبراري .
وأروقةً للدماءِ ..

**

- مائدةُ الحبِّ تدورُ ..
أكتبُ في الأسفارِ الأولى
ما لم يكتبهُ البحرُ على أطرافِ الصحراءِ
وأمحو ما لم تمحُ الموجةُ في الريحِ
وأفتحُ صدري لذراعيِ نجمٍ مخمورٍ
أصطادُ خُرَافةَ ليلٍ أخرسَ ،
أهوي بذرةَ حبِّ في الوديانِ .

**

- مائدةُ الوجدِ تدورُ
ينهضُ نخلُ الأرضِ ،
تَلُوبُ على السعفِ عناقيدُ الدمعِ

أدورُ مع الشجرِ اللائبِ
أجثو عندَ جذورِ الصحفِ الأولى
أعلنُ بهجةَ قلبي
المجروحِ بورِدِ الحبِّ
وأفعلُ ما لم تفعلْ حواءُ
أشدُّ بأغصانِ الرمانِ
.. عنقي
.. ثم أموتُ ..

**

- مائدةُ الخمرِ تدورُ ..
تشرقُ في عينيكِ فُصوصُ المرجانِ
تتوهجُ وجنةُ قلبي
يتشاءبُ خمرُ النافوراتِ على الأغصانِ
بالنسمةِ كنتُ أدفيءُ قلبكَ
تشهقُ كفيّ بين يديكَ
أكفّيَ كانتِ تومضُ
أم حبةُ رمانٍ تسرقُ دفءَ القمرِ

المتلعثم في عينيك ،
وتغفو

**

- مائدة المسك تدور ..
نامت أقمار الغابات ...

فوق ذراعي

هديلُ الحلم يناولُ كأسكَ خمرة الناي

الصبّ على عزف سنابلِ قلبي

خذني قبل ولوج الخيط الأبيض في المسك

كي يشهد ذلك الليل ..

خلاصي ..!

**

- مائدة الصبر تدور ..

نام الحبُّ على صدر الروضات المنسيّة

أدغال الأرض تفيقُ

على همس الرمان ..

البركانُ يلمُّ شباك الليل ليرسو

في كهفِ الفتيةِ
ضاعَ الفتيةُ ،
وازورَّ الكهفُ
وأوصدتِ الأبوابُ . .
المقعدُ ينهضُ ،
ينبضُ في أعمدةِ المقعدِ
جبلٌ أجردُ
جبلٌ . . لمَّ غبارَ الطلعِ ،
وسوَّاهُ امرأةً من نارٍ
مشكلةُ المقعدِ أنَّ النَّارَ ستصطادُ
جروحَ القلبِ الرابضِ خلفَ الجُرفِ الداكنِ
مشكلةُ المقعدِ أنَّ الجُرفَ إذا اصطادتهُ
الحوتُ سيهوي نحوَ سهولِ ظمأى
ويظلُّ يدورُ
في قرنِ غزالٍ مكسورٍ
مشكلتي . .
أنَّ الرمانَ يظلُّ عصياً في الأغصانِ

وَأَنَّ اللَّوْنَ الْأَحْمَرَ لَا يُعْطَى شَارَتَهُ فِي اللَّيْلِ
وَأَنَّ الْحَلْمَ الْأَخْضَرَ يَقْطِينُ
وَالظُّلْمَةُ حَوْتُ
رَجُلٌ وَامْرَأَةٌ فِي التَّابُوتِ
وَالْبَحْرُ يَجْرَحُهُ السَّمَكُ الْوَحْشِيُّ
الْبَحْرُ يَلْمُ حَقَائِبَهُ ،
وَيَمُوتُ

**

- مائدةُ الحربِ تدورُ
أشَقُّ عَصَا المَوْتِ
وَأَفْتَحُ نَافِذَةً لِلْغَزْلَانِ
السَّمَكُ الْأَخْضَرُ يَعدُو فِي الفَلَوَاتِ
يَبْتَلَعُ الأوثَانَ
يَبْدُلُ خَارِطَةَ الأَلْوَانِ
وَيَرسُمُ أُخْرَى تَنْفِرُ مِنْ أَمَلَةِ الرِيْشَةِ
تَهْوِي فِي قَاعِ اللُّوحَةِ
تُرْبِكْهَا

وتكسّر ما خطته الأطرُ الغبراءُ

**

- مائدةُ الصبرِ تدورُ

مجدافُ صدئٍ

بحرِ تشربهُ الأسماكُ

ضفافُ موحلةُ

أشلاءُ حديدِ غازٍ

قبعةُ الجنديِّ تدورُ

عاصفةُ تَدرو الرملَ على التَّيهِ المنشورِ

على دولابِ تمسكهُ الأرضُ براحتِها

السعفةُ حُبلى بالشمسِ

الصحراءُ تشقُّ مخابئها الناريةَ

تبتلعُ الصخرَ الأسودَ

يَطلعُ وردُّ في الصحراءِ

**

- مائدةُ الموتِ تدورُ

أدخلُ من كفيها

أخرجُ من بُرْقَعِهَا
مائدةُ الخمرِ تديفُ الحلمَ الموغلَ بالغصّةِ
والقابعَ بالأوصابِ
بريشِ الحزنِ يحلّقُ صبرُ المائدةِ الظمأى
أخرجُ يابسةً من جَوْفِ الحوتِ
وأدخلُ جذعَ التوتِ
التفاحةُ تهوي يتلقفُها الغربانُ
التفاحةُ تغدو كرةً
يفتحُ نهرٌ بابَه
ويغيّبُهَا
ترسمُ فوقَ الموجِ سحابةً
وتنامُ على صدرِ الريحِ

- مائدةُ الخمرِ تدورُ
يدوي شجرُ الليلِ
فيُخرجني الحلمُ من الحلمِ
وأستعصي بيديهِ

الرَّيْحَانُ يَلْمُ فَتَاتَ الصَّوْتُ
يا ويلِي من طريقي يَأْتِينِي المَوْتُ
من بواباتِ البستانِ
تقتنصُ الطَّلقاتُ الرمانِ
يطلعُ ليلٌ من أَرْدانِ الحَلْمِ
ويَلُوبُ معي ..

**

- مائدةُ الحربِ تدورُ
يُبْعَثِرْنِي النَوْمُ على أَشْلاءِ الفَجْرِ
أُكسِّرُ عَصْفَ الصاروخِ القادمِ من طائِرةِ الكابوجي ،
أشربُ ذِعَرَ الأَطْفالِ وأمنحهم عِطْري
يسترخي الطِفْلُ المذعورُ
بفَوحِ العِطْرِ الفادِحِ بين ذِراعِي
ويطبِقُ عَينِيه
فيوقِظُهُ الدَمْعُ المتفصِّدُ من قلبي
فوقَ الدَّغْلِ الخائفِ
أخجلُ من نظرتِه الخُضراءِ ..

وأذوي

**

- مائدةُ الحبِّ تدور

أنقاضُ الليلِ تفوحُ بنبضِ البرقِ
بتوقِ النرجسِ يجفلُ في دغلِ الروحِ

مخاضُ الليلِ يبوحُ

عباءةُ غيمته ترقبُ نوراً

يطلعُ من كفيّنا

من وجنةِ نبعِ النارِ الطافحِ بالتفاحِ

الواصلِ قلبي بجذورِ الخِلجانِ

بأردانِ الصاعقةِ الجذليّ

بأساورِ تكسرُ معصمها

كي ترقى لجلالِ الحمّي

**

- مائدةُ الخمرِ تدورُ

كفي تمسكُ ومضِ البستانِ

كفي تمسحُ بالنورِ الأغصانِ

كفي بآركها الحب؁
وأطلع فيها الكافور
يُوجعني عسلُ وردِي؁
يَتفتقُ في الديقور
تُوقظني خصلُ التاجِ النافر
فوق هضابِ اللغةِ الخرساءِ
تُوجعني السيميا؁
فأغفو في خصرِ الريحِ
وأبتكرُ الزرقةَ في وشوشةِ الأشياءِ
تعدو الأنهارُ على صدرِ الصحراءِ
قلبي فلك؁
والعطرُ الغامضُ مرساةُ
وحصاةُ قلبي تطفرُ من قافلةٍ
وتصيرُ دليلُ . .
والأرضُ رهانُ الليلِ على قنديل
وترابُ الأرضِ مكاحلُ عيني؁
وعطري

الأرض شجىً ،
وتراتيلُ
والأرضُ ذراعيَ المرفوعانِ لصوتِ الرعدِ ،
وحُمىَ المطرِ الأخضرِ ،
مأدبةٌ هذي الأرضُ
وصيدُ موعود

**

- مائدةُ الصبرِ تدورُ
أستلقي تحتَ سريرِ الريحِ
فَتُخرجني الأرضُ من الأرضِ
وأُخرجها من كأسِي
تَرْقُبني عينُ الصيادِ ،
وتقتنصُ الكاسُ
أكتبُ بالخمرةِ فوقَ الأقداحِ :
أُحبُّك ..

٢٠٠٣

أحزان بلقيس

في النشيجِ غبارُ
وفي الصمتِ غابةُ نارُ
كهوفُ الكلامِ تنامُ
على ساعدِ الليلِ ،
يَتَّسعُ البحرُ
في أعينِ الوردِ ،
ينكفيُّ الدمعُ
في السفحِ ينهمكُ الجانُ في رثقِ ملكِ سليمانَ ،
ينفرطُ الصولجانُ .
وصمتك ذاك الرسولُ المدججُ
بالموتِ والشعرِ
موتٌ هو الشعرُ

شعراً هو الموتُ
تطلعُ فيه المياهُ التي راودتُ زمناً
تتفتحُ فيه المنافي أباريقَ خمريِّ
وأروقةً من دخانٍ
وبُوركتِ النارُ
بُوركَ مَنْ حولها
نحن في النارِ موسى اتَّئدُ
سوفَ تُلقني عصاكِ على حجرٍ
راودتها غيومُ الرسالةِ ،
وادخلُ . .
تجدُ واديَ النملِ أبيضَ
من غيرِ سوءٍ
دماءُ الحقيقةِ تمخرُ فيه نوافيرَ شاهدةٍ
والطيورُ على شُرْفِ البحرِ
كانتُ تدورُ بطفلٍ ذبيحٍ على شُرْفِ العصرِ
تبكي المساءاتُ
والدمعُ يغسلُ هدهدَ ليلٍ يطولُ

ولا نبأ
ويطولُ ولا سبأ
والملوكُ على مهلهم يُشعلونَ القرى
وعلى مهلهم يخرجونُ
وبلقيسُ صاغرةً في الجراحِ
وصاغرةً في يديها عيونُ الرياحِ
وكهفُ ينامُ بميراثه مُثقلًا بالنجومِ
بأجراسِ مُفردةٍ سوفَ تمحو اللغاتُ ..
وبلقيسُ ما بينَ عرشينِ تسعى
وما بينَ بحرينِ
قلبانِ في صدرها ونشيدُ
متى يُغرقُ البحرُ أشجانَهُ
ويُدجنُ أحزانهُ
شرقَ البحرِ
أو غربَ الوجدِ
حربُ هو البحرُ
إطلاقةً وتحايا لمن غادروا لعذابِ الشتاتِ

وعجلٌ من الذهبِ الأسودِ
الذهبِ الأحمرِ
الذهبِ المرّ
عجلٌ خوارٌ له
سقطتُ في عذابِ المواقيتِ
ألواحهم سقطتُ ، والجراحُ مواعيدُ
بغدادُ غائمةٌ في الدماءِ
وطالعةٌ في كهوفِ السماءِ
تُميتُ ،
وتحيي ،
فلسطينَ نافلةً
وردةٌ تُشعلُ البحرَ في مائه
ورحيلٌ مقيمٌ
فلسطينُ . .
نائمةٌ أمنياتُ البوادي
فردّي الغطاءَ على جرحها
وامنحيتها تراباً يُضمّدُ أوصابها

وخذيني ...
هو البحرُ يرخي الستائرَ
فوق سنابلِ عينيكِ
فوقَ فتىٍ وصبايا
يرشونَ تحتَ الركامِ بذورَ الرياحِ
هو البحرُ إذ تلتقيه السماءُ
بآخرِ أفقٍ تُدارُ المدامُ ،
وفي صحوِ قلبي
يلوبُ اليمامُ
وتختصمُ الضفتانُ
وفي صحوِ قلبي
كان حبيبي يبيعُ قلائدَ عمري
وأسورتي ليرممَ جوعَ الحصارِ
مياهُ المدينةِ كانت تراوَعُ
كلَّ صباحٍ تنثُ الصواريخُ موتاً جديداً
والصواريخُ تتبعني
تتربصُ في كتبي ..

وتُشاغلُ أمنيّتي
وتداهمُ غرْفَةَ نومي عليّ
الصواريحُ .. أه .
وفي صحوِّ قلبي تلوّبُ المياهُ
وتُشعلُ غابَةَ قمحٍ تفاصيلها
والقصيدةُ تكسرُ قيدَ تفاعيلها
وتطيرُ حدودُ البلادِ
افتحي نهرَ عينيكِ في صحوِّ جرحي
خذي للجداولِ أفياءَها
ومباهجِ أسرارها
وخذيني إلى البحرِ
أبحثُ عن وردتي في الزحامِ
وأدعو لشامِ يديكِ
بأن تستريحَ عليّ كتفيّ
وباسمِ المنايا التي حاصرتُ وحشّتي
أستظلُّ بعينيكِ
ما خانني غيرُ ذاكِ السريرِ المراوغِ

بين البحار التي شأغلتنني أساريها زمناً
إن ناصية الحرب معقودةٌ بـخـمـورٍ
تُدافُ على ساحلِ البحرِ باسمِ السلامِ

غرق لؤلؤة التاج

إلى الشهيدة أ. د. ليلى عبدالله سعيد

أَلَقْتُ ثَمْرَةً
وانسحبتُ في زاويةِ البستانِ الشجرةُ
كانت تتلَفَّتُ ،
تبحثُ عَمَّنْ يجرحُ تلكَ الصخرةَ
عَمَّنْ يستنطقُها
عَمَّنْ يستدرِكُ عذبَ الماءِ . .
منها . .
كان دخانُ أسودُ يستغرِقُها
كان الليلُ يحاورُها . .
عن طارقةٍ تأتي ،
تذهبُ
متنكرةً في زيِّ فراشاتِ الفجرِ . .
أو في زيِّ طيورِ البحرِ . .

راكبةً ..

راجلةً

طائرةً فوقَ شجيراتِ الليمونِ

تراوِدُ صمتَ الشرفاتِ .

أَلقتُ ثمرةً ..

وانكفأتُ في زاويةِ البستانِ الشجرةَ

غرقتُ لؤلؤةَ التاجِ بقعرِ الكاسِ

تحالفَ شوْكُ الصبِيرِ على الأسنِ

ذاك غروبٌ لم يحفظْ مَقعدنا

تحتَ الأغصانِ

نسيمُ الليلِ يفتَحُ جرحَ الأشجارِ

سقطتُ راقصةً فوقَ الأوتارِ

واغتربتُ في صالاتِ الحزنِ العتبهُ

القاعةُ فارغةٌ ،

إلا من نافورةِ دمٍ ..

القاعةُ فارغةٌ إلا من خيطِ الضوءِ الأصفرِ ...
القاعةُ فارغةٌ
لكنَّ الضوضاءُ
تحصبُ جلبابَ القاضي
بِكُراتٍ حمراءٍ ...
القاعةُ فارغةٌ
لكنَّ الملكةُ ..
خانتها الشبكةُ
هبطتْ مركبةٌ وسطَ القاعةِ
غادرها الجمعُ الحاشدُ مرتبكا ..

جروح الارض

حول مائدة الحبِّ كنا غريبين ،
ما بيننا قهوةٌ مرّةٌ

وعذولٌ ..

يحدّقُ كلُّ بصاحبهِ :

أهو هذا ..

أصابعُ باردةٌ ،

ليلةٌ شاحبةٌ ..

والرياحُ تحييُّ بنايِ غريقِ

ومختنقٌ صوتٌ آخرُ سربِ اليمامِ

تُداري الغصونُ انطفاءِاتها

وتُخاتلُ أجفانها نجمةٌ خائفه

على دمعةٍ واجفه ..

وتكسرُ أرجوحةٌ ساعديها

وتسقطُ فوقَ الحصى ميته

**

غريبين كُنَّا ..
على شاطئِ الكونِ منفردين
وما بيننا الجرحُ ينزفُ
ما بيننا مطرٌ باردٌ ..
ماتت الأسئلةُ
ماتت اللهفةُ المُشعلةُ
جروحُ الخيانةِ صامتةُ
من تُرى كان أولَ من خانَ صاحبهُ ،
من تُرى المُستريبُ ،
من القاتلُ
ومن الجثةُ الهامدة ..
على ساعدينا مكومةً ..
باردةً ..
وجنةُ الأرضِ مجروحةُ
والرياحُ تؤرجحُ وردتها الذاويةً ..

**

عناقيدُ وردٍ تغادرُ أحداقنا
وسقوفُ المنى تتكسرُ
تذوي شواطئها
الجزرُ عرّى مرافئها
غادر السمك الميثَ منكفئاً في جوانبها
وخيامُ القبائل بعثرها آخرُ الموج ..
ثم مضى ..
فلماذا ..

هجرَ المدُّ بحرَ غوايتنا
وانكفأنا على الجرحِ مُغتربينِ عطاشى ..
لماذا ..
لماذا .. !

النخيل

لا تغادرني إلى الظلمة
تلتفُّ مع البردِ الحقولُ
بأساها ..
وأنا بالوجدِ ألتفُّ
وبالوحشةِ
والليلِ العذولُ ..
لا تغادرني
الفصولُ
حفرتْ آخرَ قبلةُ
فوقَ جيدي
ورأتْ كيفَ يُدافُ المستحيلُ
**
يُورِّقها الليلُ

إذ يتألقُ في دمِها
تستريبُ
يبدُ يديه :
تعالِي لصدرِي
تقولُ :
أموتُ
يصيحُ :
نموتُ معاً
وتدلى على صدره رأسها كريح الشتاء
على كفه يشرقُ الورقُ النضرُ
في شفّتيه ندىً
يستريحُ على شعرها
دجلةُ المستريبةُ تبحثُ عن قمرٍ أخضرٍ
في ضفتيها شرارةُ حمى
وفي جرفها وجعٌ مستحيلُ
على شفّتيها جداولُ مجروحةُ
ونخيلُ قتيلُ

يضيعُ الصدى
سينالُك إذ يتغرَّبُ هذا النداءُ
ندمٌ
سوف تنكفيُّ الأرضُ في بوحِها
وعلى ساعديها تموتُ الطيورُ
.....

يضيعُ الندى
في الطريقِ تفتشُ عن غرةٍ ودليلٍ
وعن قمرٍ للصَّحارى
وعن ساعدٍ للعناقِ
وزهرٍ لجرحِ الأصيلِ
ويرتبكُ الكونُ
تبحثُ عن رجلٍ يرتدي عطرَ عكا
وعن فارسٍ تستريحُ بأردانهِ
غابةً من نخيلِ
ويرتبكُ الليلُ
تبحثُ عنه

وأعمدة الكون غرقى
ومخمورة طرق الليل
مأجورة طرق الحب
في ضوء عينيك
أبصر مفتاح كل اللغات
وأقبض جمر الحقيقة بازغة
في غبار الشتات
جبال تراودني
فأجوب شعاب غيومك
نابضة في الليالي
إلهي
حوار أليف
وسيمياء جدلى بروض يغازل غيماً
ومملكة دغلها دافئ
ومداراتها فضة
شجر الروح يعطي تباريحه للمعابر
ما قال : إني أحبك

كان الخريفُ على شُرفِ الليلِ يخلعُ أثوابهُ
كان صوتُ دمائه يعزفُ لحناً
على وترِ ضاعَ في قلبِها
همستُ :

لا أُحبكَ ...

والحبُّ ينزفُ في راحتِها
ومن ضوءِ وجنتها
اشتعلتُ نشوةُ الليلِ في روحِها
خبأتُ رأسها في يديه
بكتُ ...

والجدارُ يلاحقها
وعبيرهُ ينأى
المحطاتُ ملغومةٌ بالنداءِ
وصوتهُ كان يُسرحُ شعرَ البوادي
ويضفرُ أحزانها
صوتهُ كان يلتئمُ في الليلِ
يبني لها قبةً من عبيرِ

أمجنونة أنتِ
قالت : نعم
واستفاقَ على صدره قمرٌ من بكاءٍ

**

عبرتُ . . .
طيفهُ كان ينهضُ بين الشظايا
ويطلعُ وسطَ الصواريخِ
إذ تستبيحُ السقوفَ
وتهدمُ حُلماً صغيراً
على مدرجِ الليلِ ينمو
-غداً

ثم تبتلعُ الدمعَ
- سيدتي سنكونُ معاً
تتساءل : والطائراتُ؟ . .
القذائفُ تحرقُ أرديةَ الليلِ
طفلٌ تفحّمَ فوقَ ذراعي
وصحراءُ يفصمها الجرحُ نصفينِ

والوجدُ يلعبُ لعبته الكاسرةُ
فوقَ مقصلةٍ سافرةٍ
فكيفَ تقربُ ما بيننا
المدنُ الكافرةُ . . . ؟
والمسافاتُ تمتدُّ من حجرِ النهرِ
حتى الأفولُ
ومن جرحِ بغدادَ
حتى الذبولُ . . .
تقولُ :
المسافاتُ طاعنةٌ بالخيانةِ
من رأسِها للجنوبِ
ومن أطلسِ الحزنِ
حتى الخليجِ
والملاعبُ غرثى
تفحمت الطيرُ فيها . .
وأردتُ شباكهمو خيلها
والوعولُ

يقولُ :

هي الأرضُ مصلوبةٌ بالرياحِ
ومحكومةٌ بالأنينُ
ولكنها تستجيبُ إذا الحبُّ داهمها
إنهم يحرقونَ تفاصيلها
الأرضُ ناعورةٌ
لا تدورُ

إلهي ..

الليالي تدوبُ حناناً
تنتُ الكراسي ،
السجاجيدُ
حتى دخانُ السجائرِ ،
تنكفيءُ الأرضُ تفاحةً من حنانُ
أراودُ ياقوتةَ الفجرِ عن غيمةٍ
من لآلئِ تمطرني في الرحيلِ
وتبسطُ راحتها
فتدورُ الخمورُ التي بعدُ ما ولدتُ

وتحطُّ على جُنْحِ ذاك الطريدِ
الذي حالَ بين الغصونِ
وبين اليمامِ الذبيحِ

**

صمتُ زنديكَ على خصري يصيحُ
- هل تحبُّ الصمتَ
- سيدتي أحبُّ الموتَ
إذ يغتالُ عطركِ مرمراً الروحِ
وإذ أهوي لقاعِ النارِ
أهوي ..
لجةُ الموتِ الفسيحِ
نشوةُ الموتِ
وياقوتُ ينثُ الضوءَ
فوقَ الجسدِ الفادحِ بالوردِ
وماءِ الجرحِ
فوقَ القمرِ الطافحِ تفاحاً جريحاً
أيها الليلُ الذي ينهضُ في الأفقِ

مِظْلَةٌ

تلك أُمِّي فِي ثِيَابِ الْحَزَنِ
تَبْكِي قَبْرَهَا الْمَفْتُوحَ فِي كُلِّ الْفَضَائِلِ
وَتَبْكِي نَخْلَهَا الْمَذْبُوحَ فِي بَهْوِ السَّمَاوَاتِ
وَتَبْكِي طِفْلَةً تَبْحَثُ عَنْ أَنْهَارِهَا

بَيْنَ الصَّوَارِيخِ

وَعَمَّا اقْتَرَفَ الْوَرْدُ

بِنَزْفِ الْجَرَحِ

تَبْكِي لَيْلَةَ ضَاعَتْ عَلَى أَسْمَالِهَا الْأَسْمَاءُ

مَرْبُكَةً شَوَارِعُ رُوحِهَا

فَحَمُّ طَيُورِ الضَّفِيفَتَيْنِ

مَلَاعِبُ الْأَطْفَالِ الْمُقْفَرَةِ

خَيُوطُ الشَّمْسِ لِأَغْبَةِ

دَمُوعُ اللَّيْلِ تَكْسِرُهَا الْإِشَارَةُ

كَفَكَ الْخَضْرَاءُ

تُوقِظُ نَشْوَةَ الْأَقْدَاحِ

تَذَكُرُهَا خَطَايَا

تلوبُ حولكَ
كانت اللحظاتُ مفعمةً بفوحِ الوردِ
كان الشجرُ الهاربُ
يرتدُّ إلى النهرِ
دمي ينثالُ
تشتبكُ الأكفُ بدهشةِ الرمانِ
لاذعةً على غصنِ الزمانِ

**

لا تغادرني
ذراعاكُ شراعُ فوقِ حصريِ
لا تغادرني
تدورُ الأرضُ ما بينِ منافيكِ ..
وصبري
لم تكنُ سجنًا
ولا منفىً
ولكني سجنُ
لا تغادرني ..

أَتَيْتُ ...
لَا تَغَادِرْنِي ...
أَتَيْتُ .

البيت

كقصيدةِ النثرِ العَصِيَّةِ ،
غامضٌ
وغصونُهُ تُرَخِي على صدري الظلالَ ،
وساعدي . . .
وبيثٌ عطراً لايبينُ
في الليلِ يأخذني لصالةِ حزنه
في الفجرِ أصحابه إلى حلمي ،
فيحرسُ صَبَّوتي
وأنامُ بين يديه أمانةً
وإذ أصحو
أراه وقد أضاءَ نوافذي
وأعدَّ لي شايَ الصباح
طفلٌ صغِيرٌ كلِّما فارقتُه

بَكَتِ الْبَلَابِلُ فِي ضُلُوعِي ،
وَانْجَرَحُ ..
شَيْحُ الْحَدِيقَةِ فِي دَمُوعِي ..

الزمن

شجرٌ جنوبيُّ يُظللُّني ،
وينسى فوقَ خصري ساعديه ..
نهرٌ جنوبيُّ يوشوشني ،
ضبابٌ أسرُّني الروحِ
شجورٌ ظامئٌ يأتي ،
ولا عجةٌ تروحُ ..
لا ماءً يا شجرَ الجروح ..
لا ماءً ،
مرت قاطراتُ الليلِ عطشى
دقاتُ قلبِ الريحِ عطشى
ضوءُ القصيدةِ باتَ منفي
أوراده انفرطتْ ،
فكيف أرمُ المنفى

وَأَمْسَحُ وَحْشَةَ الْفَقْدَانِ عَنِ عَيْنِيهِ
كَيْفَ أُعِيدُ بِهَجَّةٍ سَاعِدِيهِ لُورِدِ خَصْرِي !

.....

الزهرُ مالَ على الأرائكِ
نفحةً من عطره ،
وجلالُ ما أرختُ يديه
يَتَفَتَّحُ الأبنوسُ عن سروِ
وقدّاحٍ وغيَمٍ ..
يَتَفَتَّحُ الزانُ العتيقُ
سكناً وشاهدٌ ..
فألمُ أمتعتي لأرحلَ
والطريقُ ..
نأيُّ تُؤجِّجُهُ الحرائقُ ..
الأرضُ مُفعمَةُ البراري
حولها الألفاظُ دانيةٌ
رنينُ أساورٍ مازالَ ،
ليلكُ روحها مازالَ ..

هل بدأ الرحيلُ ،
كؤوسُ محنتها ،
وخمرُ دونَ ريِّ
ركبانُ تطوي البيدَ طيِّ

الريح

ما قال .. أحييني ..

ابتسمتُ عيناهُ

وفرّ الضوءُ من الأفلاكِ

ونامَ عبيرُ النارجُ ..

فوقَ ذراعي ..

ما قال .. أحييني ..

شرقت عيناهُ ،

ومضى يقرأ في كفيها الرملَ

وإيقاعَ الصّبواتِ

ما قال .. أحييني ..

قال .. جداري كوني يا سيدهُ

الموج ،

وفارعةَ الغاباتِ

لم يسمع ما قالتهُ الرّيحُ ،
مضى قبلَ غوايتها ..
أبقتُ بين يديه ..
شيئاً من برقٍ
وأنيباً مجروحاً ..

الصحراء

ينشقُّ الماءُ ..
عن حوتٍ أسودٍ يبتلعُ الصحراءُ
تَنفلقُ الطيبةُ نصفينِ
تنشقُّ الضفةُ الأخرى
عن كفينِ يُزيحانِ غُبارَ الدمعةِ
عن دَغَلِ القلبِ
شبهتِ رئةُ العشبِ
وازورَّتْ تحتَ غلائلكِ الذهبيةِ
كلُّ الأخطاءِ ..

القصيدة

ماذا يُبكيك بُعيدَ عناقِ الأشجارِ ..
وهبوبِ نسيمِ الواحاتِ ..
على عرقٍ يتصبَّبُ من كتفيكِ ..!
.....

ماذا يُبكيكِ بُعيدَ سقوطِ الثمرِ الوردِيِّ ،
يُطرِّزُ شرفةِ رقصِ أندلسيِّ ..
في الفجرِ ،
ويغمضُ عند بزوغِ الأنهارِ ..
عينيكِ ..!
.....

ماذا يبكيكِ .. ؟
وقد هبَّ البركانُ ..
يَجْتثُّ عروقَ الأرضِ الظمأى ،

فتدورُ الأَقمارُ ..
حوَلِ إشاراتٍ تُطلَقُها كفاكِ ..
عبرَ ضبابِ التكوِينِ ! ..

.....

ماذا يُبكيكِ . . ؟
وخصركِ بينَ يديَّ ،
ونارُ الحبِّ تضيءُ الليلَ السَكرانَ
بوجنتكِ الزهراءِ ،
وقلبي :
كرةً في كَفِّ الإِصْصارِ ..

.....

ماذا يُبكيكِ . . ؟
وقد سَكنَ الزلزالُ ..
واستَرحتُ فيه غلائلُكَ الذهبيَّةُ ،
فاحَ سريرُ النارِ ،
وأقفلَ دَغلُ الروحِ ..
شباكهُ خَلفَ يَمامِ مجروحٍ ..

.....
ماذا يبكيكِ . . ؟
وهذا الشوقُ الضَّاري
في منفاهُ
يحفرُ فوقَ الأشجارِ أساهُ . .
ويعرِّي قلبَ الرِّيحِ . .

.....
ماذا يبكيكِ ،
وقد هبَّ الشبو الليليُّ . .
وأوصدتِ الأبوابُ . . !

رقصة

تُحسِنُ الرقصَ كانتُ

وتسألُ :

هذا هو الرقصُ ..

أن تتلوّى يدي لوعةً

ويَلوبَ الفضاءَ برأسي ..

يُورجحني اللحنُ ما بينَ وجدٍ

ووجدٍ

خطوةٌ ، خطوتان يُضللّني الدمعُ

تسألُ .. هذا هو الرقصُ

أن أقرأ النارَ في راحتيّ

وطعمَ احتضارٍ بنخصري ..

أهو ..

أن أتحمّسَ حمّى جيبيني

إذا قدمي تطرقُ الأرضَ ،
تسمعُ همستَها :
إنهم أرهقوني ...
.....
تدورُ ذراعاي حولي ..
تؤثُّثُ هذا الفراغَ المخاتِلَ .
ترتدُّ صالةُ عمريَ نحو الصحرارى
إلى حافةِ البحرِ ،
تعدو الصحرارى
وراءها ينفلتُ البحرُ
من شاطئيه ،
يُروِّضها في اشتباكِ الأصابعِ
وجنتها بين كفيه تنفرطانِ
وحولهما شجر الحزنِ ،
تصطفُ أغصانهُ
تتعانقُ في رقصةٍ داميةٍ ..

غناء

وكانت تُجيدُ الغناءَ ،
وتسألُ ..
هذا الغناءُ ..؟
لماذا يسيلُ دمي في الصدى
ويشفُّ فؤادي ،
يَهيمُ عبيراً وراءَ المدى ..
وروحي تغدو بلابلَ تهجرني ،
وتغادرُ ،
يفترُّ جسمي ،
ينخسئ انبثاقاته في دُوارِ العناقِ
وفي مهرجانِ الندى ..
عجباً شَبَّتِ الأرضُ بالنارِ ،
من يطفئُ النارَ عن وجنةِ الأرضِ ،

من يفتدي ثوبها
ويعيرُ غنائها ..
وردةً من حريرٍ ..

صمت

مرةً قلتُ للصمت :
فلنتصالحُ ..
تعالَ .. نقل غزلاً أو هجاءً ..
أنت علمتني أن أجوبَ البراري ،
أن أتأملَ حزنَ الشجرِ ..
وأقفو الوعولَ ..
واقراً وجدَّ الحساسينِ
والريحِ
والسنديانُ ..
وأبصرُ همسَ المياه ،
وغربةَ وردِ الصحارى
وحيرةَ خطوِ البشرِ
أنتَ علّمتني أن أثرثرَ في داخلي ،

وأحاورُ همسَ الجدرِ . . .
أنتَ علّمتني أن أجوبَ العصورَ ،
أرّمُ أشجانها
وألمُّ رذاذَ قناديلها ،
وأسائلُ خِلجانها . .
أنتَ علّمتني أن أفكِّكَ صمتك
كان اختلافي معك
أثراً . .
كان سعيّاً لوصلَ جديدٍ
فماذا غداً ستقولُ . .
غزلاً في هجائي . .

الحديقة...

تَتَوَجَّعُ الصَّحْرَاءُ مَا بَيْنِي وَبَيْنَكَ
نَخْلَةٌ ظَمَأَى
وَأَشْوَاقُ
وَسُورُ
وَجِدَاوِلُ تَهْفُو
وَجِبُّ فَاغْرُ فَاهُ ،
وَصَفْصَافُ كَسِيرُ
تَتَوَجَّعُ الصَّحْرَاءُ ،
دَجَلَةٌ سَعْفَةٌ تُكَلَى
وَضَوْءٌ يَسْتَجِيرُ
صَمْتُ الْمَسَاءِ
مَبَاهِجُ الْقَدَاحِ
جُرْحُ الْيَاسْمِينِ بِمَوْجِ

فيروزُ الصباحُ
فنجانُ قهوتنا الربيعيُّ ،
النوافذُ ،
زهرة الرمانِ تُقفَلُ جرحها
في غيمةِ السرِّ العصيِّ
البحرُ يحملها إليَّ ،
فأفتحُ الصحراءَ
ندخلُ آمينٌ . . .
وتُفتِّحُ الألوانُ شُرْفَتها لموسيقى هلالٍ
قادمٍ من آخرِ الدنيا
فهلَّ تعبَ الكلامِ . . .
أشجاره غيمٌ ،
وعُربته سلامٌ . .
والليلُ يسألُ أن أنامُ
لكنَّ أمواجَ الحديقةِ ليلاً يهفو
وحُمى أرجوانٍ . . .
والأرضُ تُسحبُ من ضفائرها

لهاوية ..
أنينٌ صباحها وجلٌ ...
وداجٌ ليلها ...
يقتادها وحشٌ
ويُرديها رهانٌ ..
موتٌ غريبٌ العزفِ يبتلعُ المكانُ
ورياحٌ نيسانٌ تجيءُ بما يسيءُ
وما يضيءُ
والخبزُ أزرقٌ مرةً أخرى ، ومرٌ
تفاحنا الجبليُّ
والنَّارنجُ مرٌ
والنايُ ظلٌّ معلقاً فوقَ النخيلِ
وجرحٌ لوعتهِ أغرٌ

دوار

الدوّارُ ، الدوار ، الدواؤُ
على حافةِ البحرِ
في حانةِ الموتِ
في صالةِ الرقصِ ،
في شرفةِ الهمسِ كان الدواؤُ
يُورِجُني
مثلَ رمانةٍ في شجارِ الغصونِ
ومثلَ حوارِ عصيٍّ ،
يُوشوشني بالذي لا يقالُ
سُدولُ الندى تتلقّني ،
والدّواؤُ
يناولني البرقَ ، يأخذني . . .
فتلوبُ السنابلُ

في لحنٍ موجتهِ ،
يترصدني ، فتغيبُ السواحلُ :
أغنيةً
ورذاذَ عبيرٍ
وطيفاً تكسّرَ بالريحِ
كان الصدى
يلامسُ أوتارَ ليلٍ شجيٍّ المرامِ ...
جسدي يتشكّلُ برقاً على البحرِ
يزرعه باليمامِ
ويبحثُ عن وردةِ الماسِ وسطَ الركامِ
الدوارُ ، الدوارُ ...
يزرعُ السرّ فينا
ونجهلُ كيفَ أتى ..
ونجهلُ كيفَ مضى ..
وخلفنا جثثاً في الرمالِ ...

الليل

في الساعاتِ الأولى
أبحثُ عن وجهك عبرَ ملفاتِ الظلمةِ
تحجبهُ عني صحراءُ الليلِ الهابطِ
فوقَ الروحِ ..
منكفىءُ وجهك ،
كفك داليةٌ عطشى
ودخانٌ مجروحٌ ...
تتلقفني الساعاتُ الوسطى ،
تذهمني الخمرةُ بالوجدِ
تميدُ الشرفةُ
تهفو بي نحوَ الأعلى
غلائلُ نومي
ترفعني نحوَ الأفقِ القدسيِّ
أراك غريباً

وأراك شفيفاً حدّ الهمسِ ،
حريراً
تأخذك الموجةُ
أعدو خلقك
أجنحتي تفرشُ حولك ظلّتها
فيبوحُ الجمرُ
بما تُخفي الأسرارُ
النايُ يُبعثرُ حمى الوجدِ
على الأشجارُ
يتسللُ خيطُ الألوانِ
يلائمُ بين حفيفِ الكونِ
ورقص الأضواءِ على زردِ الماءِ
وهمسِ الأغصانِ
لدغلِ الوديانِ
في أخرى الساعاتِ ...
ندخلُ في طيّاتِ الكونِ معاً
ونغيبُ

وتبقى تفر الظلال

خُلْسَةً يَتْرِبْصُ بِي . . .

خُلْسَةً . .

مِنْ أَنْامِلٍ كَفِّي تَشْتَعِلُ النَّارُ

حَتَّى الْعُرُوقُ . . .

الدَّوَارُ الْقَدِيمُ . .

الدَّوَارُ الْجَدِيدُ

يَغَيِّرُ لَوْنَ الْمَدَى

وَيَهْفُو الْيَمَامُ عَلَى شَرْفِ الْقَلْبِ

يَخْضِرُ غُصْنُ الْكَلَامِ

عَلَى نَعْمٍ مِنْ بِنْفَسَجٍ . .

تَرْفُ الْحَيَاةُ بِأَجْنَحَةٍ . . .

مِنْ عَبِيرٍ وَعَسْجَدٍ . .

غَالِثُهَا تَأْخُذُ الرُّوحَ مَنِي

وتصعدُ . . .
ألا حِقُّها ،
فتغيبُ عناقيدُها . .
والأمسُ أذْيالُها ،
فتفرُّ الظلالُ . .
وملأى السلالُ . .
من غلالِ سماويةٍ . .
من خمورٍ تُدافُ ،
وأجنحةٍ إذ تَرَفُّ بوديانِ رُوحِي
أطيرُ على نِجْمَةٍ
من رذاذِ أعنتها يقطرُ الوردُ
من رقصَةِ النارِ فيها . . .
تُطلُّ مَبَاهِجُ شِفافَةٍ . . .
وتغيبُ المسافاتُ
لا أمسَ . . .
لا يومَ . . .
لا غدً

جنانُ تباريحها لا تحدُّ . .

وأروقةٌ من ضياءٍ

وألوانٌ تنهضُ

تتداخلُ أطيافُها

وتَميسُ شروقاتها

تتراقصُ في باحةِ العطرِ

أتبعُ مأخوذةً طيفها

وألودُ بحمى مواجيدها

والأحقُّ أصداءها ،

فتفرُّ ،

وتبقى مُهومةً في الأثيرِ

وأبقى مُهومةً خلفها

وحين تلامسُ ومضتُّها الأرضَ

ينطفئُ النبضُ

تصمتُ حمى المدى

ويعاودُ دورته الفلكُ

يخبو الصدى . . .